الإمام الحسن عليه السلام منهج إنسان

المدرس الدكتور
حسنين جابر الحلو
جامعة الكوفة ـ كلية الآداب

المقدمة:

يتميز الإنسان عن سائر الموجودات بالقابلية على التفكير المجرد، اذ تتمثل في ذهنه مفاهيم عديدة لا تحقق انعكاسا مباشرا لأجسام مادية في العالم الخارجي، كما يتميز باللغة التي لا يتيسر التفكير من دونها، وهذه اللغة ماهي الا مجموعة من الرموز اتفقت عليها مجموعة معينة من البشر للتعبير عن اغراضها واحاسيسها، وهنا يمكن القول بان هذه اللغة وسيلة بالغة الاهمية في توجيه الشباب لتطوير نتاج المجتمع في عاداته او تقاليده لان اللغة الصفة الاساسية للامة والمميزة لها عن غيرها من الامم، ومادامت اداة الامة البيانية هذه باقية دوما، وهذا يعني انها الرابطة التي تجمع مجموعة من افراد النوع البشري بمسؤليتها وتأتي هذه المسؤولية من جملة أمور اهمها التحلي بالأخلاق، لأنها تمثل الاساس الذي يجب ان يقوم عليه البناء الاجتماعي، فهي تعبر عن الجانب الوجداني والمعنوي للسلوك الإنساني والعلاقات الإنسانية التي ترتبط بالعدل والظلم والحسن والقبح والتكامل والتسافل الروحي والمعنوي في المسيرة البشرية، وهذا ما عبر عنه الفلاسفة بالعقل العملي في مقابل العقل النظري الذي يعتمد عليه الجانب العقلائي والفكري، وما يحتاجه اليوم شبابنا منن خطاب إسلامي معاصر من خلال وضع قضيته في اصلاح مناهج الفكر وإسلامية المعرفة موضعها الملائم واعطائها الاسبقية واعتبارها القضية المفتاح لكثير من جوانب الازمة، والمشعل الضروري لجلاء ظلام الفتنة الفكرية والعلمية التي ظل يتخبط فيها الواقع الإسلامي منذ ما يزيد على قرن من الزمان، وكما هو معروف من ان الشباب بحاجة الى ثقافة تنشأ نتيجة التفاعل الاجتماعي

بين الافراد والجماعات وبتحديد الانماط السلوكية التي ارتضاها المجتمع لأفراده لإشباع احتياجاتهم البيولوجية والاجتماعية حيث تنتقل عن طريق التعليم خلال مراحل نموها ونضوجها في المجتمع الذي يعيش فيه ونجد ان الامام الحسن عليه السلام قد أثر في ذلك الوقت وقومه من الاعوجاج، حيث كتبت في المبحث الأول عن منهجه الإنساني، والمبحث الثاني: حياته وسيرته، والمبحث الثالث: عن التطبيق وقيامه ضد البطلان وكيف اثرت في مجمل الحياة آنذاك، ولعل ان استذكار الامام الحسن عليه السلام يأتي شأنه شأن كل المواضيع التي تعلي من قدر الشخصيات الإسلامية واظهارها على الساحة الفكرية والعلمية والجهادية.

المحور الأول: أولا: (المنهج لغة)

المنهج في اللغة ((النهج هو الطريق الواضح وكذلك المنهاج وانهج الطريق أي استبان وصار نهجا واضحا بينا))[١]، ونهجت الطريق اذ ابنته واوضحته.

يقال: اعمل على ما نهجته لك، ونهجت الطريق أيضاً إذا سلكته[٢]، ونهج ((طريق واضح بين))[٣].

وانهج الطريق: اتضح واستبان وصار نهجا واضحا بينا)).

والمنهاج هو الطريق الواضح.

((انتهج الطريق صار نهجاً))[٤].

وباختصار: ((المنهج هو طريقة البحث)).

أو هو الطريقة المتبعة[٦]، وهو طبعا مجموعة من القواعد العامة يعتمدها الباحث في تنظيم ما لديه من افكار او معلومات، من اجل ان توصله الى النتيجة المطلوبة.

والمنهج بفتح الميم وقيل بكسرها أيضاً[٧].

المبحث الثاني

المنهج اصطلاحا

أما في الاصطلاح فتعارفه كثيرة أهمها ما ذكره الدكتور عبد الهادي الفضلي: ((هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة))[٨].

أو هو البحث في هدي القواعد العقلية للوصول الى النتائج)) وينبغي التفريق بوضوح بين المنهج وبين الادوات المنهجية وبين المنهج المقسم وبين الاقسام، وعندها يمكن القول بان نورخ للمنهج بمنهجية، والا فان الحديث يبقى مفتقرا للدقة العلمية، اجنبيا عما نحن بصدده[٩].

إذا دققنا النظر في ما تقدم يمكن ان نهتدي الى القاسم المشترك والذي هو ان المنهج: هو حركة الفكر وفق الضوابط العقلية [١٠].

أو أنه الطريقة التي يتبعها العلماء في وضع قواعد العلم وفي استنساخ معارفه على ضوء تلك القواعد.

ويشمل المنهج جميع العلوم باسرها وذلك لأنها تضع بين يدي العلماء والباحثين القواعد العامة لوضع العلم في هيكله العام وتنظم عناصر بحثه تنظيما يربط بعضها ببعض وتأليف اجزائه وتأليفا متناسقا حتى تأتي متكاملة ومطابقة لقوانين التفكير الصحيح التي تبعد البحث عن العقم وتبعد الفكر عن الوقوع في الخطأ.

والناس امام الوقوع في الخطأ او الابتعاد عنه من خلال اختيار منهج سليم وواضح وكما يقول الشاعر ابن الرومي:

أمامك فانظر أي نهجيك تنهج طريقان شتى مستقيم واعوج[١١]

المحور الثاني: الإمام الخالد.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾(١٢).

كان كثيرة هي المواقف التي تمر على الإنسان خلال مسيرة حياته، منها ما يكون ضمن اطار التضييق، فتبقى جامدة هامدة بدون حراك واخرى تكون موسعة لها تداخلات الكلمة والموقف ضمن التحرك المنشود الذي ترتضيه الذات ويرتضيه الاخر، ولعل التضييق على مستوى الفكر كان من خلال التضيق على عرض المسيرة التي خطها الامام الحسن عليه السلام من خلال مواقفه مع النبي محمد صلى الله عليه وآله، ومواقفه مع أبيه عليه السلام وفي مواقف كثيرة وهذا ادى بدوره الى تأثر البعض بالعرض وترك الحقيقة، بينما البحث في مواطن وجود الحسن عليه السلام من خلال الشخص نفسه هو عرض الحقيقة بما كانت في حياته عليه السلام، ولعل هذا البحث يستغرق وقت طويل وبحث جزيل من قبل القائم عليه.

هذا عرض بسيط عن مورد السعة والضيق في مجال الفكر، وهنا لو أخذنا نوعاً من السعة في عرض مواقف الحسن عليه السلام لا نحصيها ولسبب واضح وهو ان الامام عليه السلام لا يمكن ان نقيسه بغيره من العقول ماعدا رسول الله صلى الله عليه وآله وابيه عليه السلام وذلك لان عقله عليه السلام كان مستوعبا لأحداث عصره، هنا نقطة مهمة يجب ان تعرض، ما مدى مقدرة العقل الإنساني على استيعاب الواقع بما هو بمجالاته الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، هنا مورد اخر يجب ان نتطرق إليه هنا لو حللنا شخص الحسن عليه السلام من الوجهة الفكرية ستجد ان العقل الذي حمله الامام الحسن عليه السلام كان على مستوى التوسعة المريدة لحل الازمة أي ازمة تعرض في ذلك الوقت هنا لو اتينا الى التصور الذي جاء به الحسن عليه السلام لوجدنا اننا نحتاج الى مثله في كل زمان ومكان، كيف نجد مثله؟ هذا هو السؤال المحير، ولكن الاجابة عليه بسيطة جدا ولكن بشروط.

الإجابة هي اننا لو تمثلنا بالحسن عليه السلام في كل شيء واقتدينا بخطاه سنكون

عارفين بكل ما راده الامام من كل فرد ليعي حقيقته، وما يريد وما يراد منه على سبيل العبادة فان المتمثل والمقتدي بعبادة الحسن عليه السلام سيكون مثله فلو اخذنا دليلا فخير دليل: ((عبدي اطعني تكن مثلي قل للشيء كن فيكون))، فالاقتداء هنا سيكون على مستوى الموضوع أي ان تكون هناك موضوعية بهذا الاقتداء وهي موضوعية مهمة يجب ان تطبق على ارض الواقع، لأنه من ابواب السماء المفتوحة للعباد في سائر البلاد فلو ندبناه لا نخسر، وان تركناه سنندم ويكون موقفنا كالواقف على صخرة في وسط البحر وهو لا يعرف السبح، وفلت منه رباط القارب وسار بعيدا عنه، والامواج تتزاحم فوق هذه الصخرة وبقى متحيرا لا يعرف كيف يوجه فكره يترك الصخرة يسقط بالبحر يبقى واقفا يخاف من الامواج والحيتان تأكله، ويبقى في دوامة البحث عن منقذ.

فالحري بنا ان نكون مع الحسن في اخلاقنا في تعاملنا في احساسنا إلى الناس نكون معه في كل شيء، ليكون معنا في كل شيء، وهنا يجب ان نعلم بأن كل نظرية لابد لها من تطبيق، فالتطبيق هنا هو توسعي أي بكل مورد من موارد العرض الذي جاء به الامام الحسن عليه السلام، لأنه هو الحق الذي ينطق عن برهان إلهي واضح المعالم.

المحور الثالث: منهج الامام التطبيقي.

إن الامام الحسن عليه السلام صاحب بحث علمي مهم وواقعي لأنه بحث في علم الإمام بتمامه يتم في الإمامة العامة، حيث إنه بحث يشمل علم كل الأئمة عليهم السلام، فضلا عن علم الأنبياء وكل أولي الأمر الذين أختصهم الله بتبليغ رسالته كالرسل من أولي العزم، أو البحث عن علم من أختصهم سبحانه بالمحافظة على رسالته من أوصيائهم، سواء كانوا أنبياء أو أئمة أو ربانيين لهم منزلة الوراثة والوصاية على تعليم هداه ودينه للناس بعدهم، وذلك لكي لا يختلف الناس بعد الرسل في دينهم ومعارف الله التي يحب أن يُعبد بها سبحانه، والتي يتبعها كل ما يسعد العباد في حياتهم الدنيا والآخرة.

وذلك حيث إن الله تعالى: انالهم الحجة البالغة، فقد اصطفى وأختار راسخون بالعلم عرفهم أمره وأيدهم واصطفاهم لتعليم دينه، ولكي لا يختلف الناس بعد الرسل من أولي العزم، ولكي لا يدعي كل أحد معارف دينه ولو لم يفقه حقيقته فيُحمل رأيه وقياسه أو استحسانه على دين الله فيقول بغير علم، أو يأتي مَن يُظهر دين أو يمكر بتعاليمه ليدعم سلطان ملوك الأرض ولو كانوا ظالمين أو طغاة فيكونوا وعاظ سلاطين، فيضلوا عباد الله بتأويلهم وأفكارهم الباطلة.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ * وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾[١٣] وعلم أول العزم وحي مع المعاينة لجبرائيل أو مع روح القدس، وإما الأنبياء والأئمة فهو إما وحي من وراء حجاب فيكون تحديث، والنبي والإمام محدث وملهم بأمر الله، أو نفسه الوحي عن طريق روح القدس الذي يؤيده فيوحي بإذنه ما يشاء وهو التأييد بروح القدس من غير ظهور وتجلي ومعاينة كما لأولي العزم، ولذا كان مقام الأولياء من أولي الأمر رسل أو أنبياء أو أوصياء وأئمة أو ربانين، مقام عالي لم يصل له كل أحد إلا بعناية من الله بتطهيرهم، وهو الذي يختارهم بعد أن يعلم صدقهم وصفاهم وإخلاصهم معه علما وتعليما وكل ما أمر به مما تقام به عبوديته.

وإن الإمام الحسن عليه السلام: هو ثاني الحجج في الدين الإسلامي بعد الامام علي عليه السلام، وله عليه السلام جعل سبحانه وتعالى وراثة علم آبائه وكتابه وتعاليم دينه في زمانه، ثم لأبنائه المعصومين عليهم السلام بعده، والله تعالى أورث أهل البيت علم الكتاب وجعلهم أئمة يهدون بأمره، ويُعلمون المؤمنين تعاليم دينه الحقيقية، فهم الراسخون بالعلم بحق والذين يَعلمون تأويل الكتاب، وبهم حافظ الله تعالى على دينه وتعاليم كتابه بما علمهم وطهرهم وخصهم ومكنهم به من هداه، حتى عصمهم من الخطأ والغلط والاشتباه، فعُصم المؤمنون بهم من الاختلاف في دينه، وكان كل من تبعهم سار على صراط مستقيم لهدى الله وتحقق بكل نعيم دائم

حتى ليكون معهم في أرقى منازل الملكوت، والآن يكون معهم من يخلص لله بدينه من معارفهم ومن غير خلط بما يُعلمه غيرهم، وللمؤمنين مراتب في طلب الهدى بجد واجتهاد والتحقق به.

وإنه من غير المعقول أن يذكر سبحانه في كتابه المجيد فيقول: إنا له لحافظون، أو لا يمسه إلا المطهرون، فيقوم بالإعجاز بالمحافظة على الكتاب من التلاعب بكلماته وبالطهارة الظاهرية بأن لا يمس إلا بوضوء، ولا يحافظ عليه بإمام صادق مطهر حسنِ في كل علمه وعمله وسيرته، وقد أختاره الله لكي يحافظ به على كتابه من التفسير بالرأي والشرح بالقياس والاستحسان والقول به بدون علم، بل لابد أن يكون عدل القرآن مثله مطهر بنص الكتاب ولا يصدق هذا إلا على أهل البيت وهم عليهم السلام المطهرون مثل كتاب الله تعالى، وإن لا بيّنه ولا شاهد لغيرهم في ولايته وإمامته للمؤمنين بأنها من الله ومنصب أختاره له الله مهما كان شأنه وكل مدعي لهذا المنصب غيرهم كاذب.

وإن الإمام الحسن عليه السلام: هو ثاني الحجج والأئمة من آل البيت المطهرون والواجب المودة لهم، وهو المؤيد بروح القدس صاحب ليلة القدر وأمر الله المنزل معه على ولي دينه، كما إن الملائكة تؤيد المؤمنين وتبارك وجودهم، ثم أبنائه بعده كما كان هو بعد آبائه الطاهرين صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقد عرفت آيات كثيرة تُعرف آل البيت المحمدي صلى الله عليهم والهم وسلم وتعرف إمامتهم، ومن ثم قد شرحنا اسم الله الحسنِ الوارث عز وجل في كتاب صحيفة شرح الأسماء الحسنى، وقد ذكرنا فيه كثير من المعارف عن علم الإمام وكيف ظهر الله باسمه في كل شيء في الأرض، وكيف تجلى به بأكمل وأتم تجلي حين تحقق بآل محمد صلى الله عليه وآله، حتى فاض منهم وتجلى منهم بعد اكتسابهم نور معارفه منه سبحانه، فكانوا أفضل مصداق لتجلي الله وللتحقق به في الأرض وفيضه والظهور به، وان الايمان الراسخ وبدليل محكم ذو برهان رباني، بحقيقة علم

الإمام وتحققه له وظهوره به، هو معرفة ملازمة روح القدس له وتنزله عليه في ليلة القدر بأمر الله والذي ينزل عليه فيها كل ما يحتاج له في سنته، والكون معه يحفظه ويسدده في طول زمان إمامته، فيكون راسخ بعلم الكتاب ويعلم تأويله وله وراثة آبائه الطاهرين.

هوامش البحث

(١) تاج اللغة وصحاح العربية / اسماعيل بن حماد الجوهري.
(٢) م. ن.
(٣) لسان العرب / ابن منظور / ص١٦٨.
(٤) م. ن./ ص١٦٩.
(٥) البحث العلمي / د. رجاء وحيد دويدري / ص١٤٧.
(٦) تاج العروس / الزبيدي / باب نهج.
(٧) اصول البحث / د. عبد الهادي الفضلي / ص٤٩.
(٨) في المنهج المعصوم والنص / الشيخ حسين الكوراني / ص٣١.
(٩) م. ن/ ص٤٥.
(١٠) ابن الرومي / ديوان الرومي.
(١١) في المنهج المعصوم والنص / الشيخ حسين الكوراني / ص٢٥.
(١٢) كنز العمال ج٦ ص٣٠٠.